سلسلة مطويات شبكة بينونة

شأن الصلاة

الشيخ د. علي بن سلمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،، وبعد

فإنّ الصلاةَ ركن عظيم من أركان الدين، وعمود الإسلام الذي بها يقوم، رفع الله شأنها، وعظّم قدرها، وأمر المسلمين أنْ يُؤدّوها جماعةً في المساجد، ومدحهم وأثنى عليهم بذلك فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]، فجعل من المساجد محلاً لأدائها، وشهد لعمّارها بالإيمان، ووصفهم بالهداية.

وقد بَشَّرَ النبي ﷺ المشَّائِينَ إلى المساجِدِ بأنَّ لهم بِكلِّ خطوةٍ حسنةً، ويُرْفَعُ لهم بِهَا درجةٌ، ويُحَطُّ عَنْهُمْ بِهَا خطيئةٌ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى يا رسولَ اللَّه. قالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[1].

والله ﷻ يفرح بقدوم عبده إلى الصلاة، قال ﷺ: «لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِم إذا قدِم عليهم»[2].

والتَّبْكيرُ إلى المسجد لأداء الصلاة المفروضة، وإدراكُ تكبيرة الإحرام له فضل عظيم عند الله ﷻ، لاسيما إذا داوم عليه المسلم أربعين يوماً، فعن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال:

(١) رواه مسلم (٢٥١).

(٢) رواه أحمد (٨٣٥٠) وابن ماجه (٨٠٠).

«مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[٣].

فمن صلى لله ﷻ مخلصاً من قلبه، لا رياءً ولا سمعة، (يُدرك تكبيرة الإحرام) مع الإمام (كُتِب له براءتان: براءة من النار) أي خلاص ونجاة منها، (وبراءة من النفاق) في الدنيا وفي الآخرة، فيبرأ في الدنيا بأن لا يعمل عمل المنافقين، ويبرأ في الآخرة بأن لا يُعذَّب بما يُعذَّب به المنافقون[٤].

وليس المقصود بذكر الأربعين هنا أنْ يقتصر عليها المسلم ثم ينقطع بعد ذلك! وإنما المراد بذلك أنّ مَن لازم تحصيل تكبيرة الإحرام خلال هذه المدة فإنّ الغالب أن يصير ذلك عادةً له[٥]، لأنه يحصل له من التلذذ بالعبادة، وتذوُّق حلاوتها، ما يُذهب عنه التكلف لأدائها، فيستقيم على ذلك ويداوم عليها.

والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما من صغائر الذنوب، قال النبي ﷺ: «الصَّلوات الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ كَفَّارَةٌ لما بينهن، ما لم تُغش الكبائر»[٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيَقُومُ فَيَتَوَضَّأُ، فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي فَيُحْسِنُ الصَّلَاةَ إِلَّا غَفَرَ اللهُ لَهُ بِهَا مَا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا مِنْ ذُنُوبِهِ... »[٧].

والملازم للمسجد في ظلِّ عشر الرحمن يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلّ إلا ظلُّه» وذكر منهم: «ورجلٌ قلبُه معلّقٌ بالمساجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه»[٨].

---

(٣) رواه الترمذي (٢٤١).
(٤) ينظر: شرح المشكاة للطيبي (١١٦٥/٤)
(٥) يُنظر: حُسن التنبه للغزي (١٨٣/٩).
(٦) رواه مسلم (٢٣٣).
(٧) رواه أحمد (٢٢٢٣٧).
(٨) مسند البزار (١٢٠).

قال ابن رجب رحمه الله: «وإنَّما كانتْ ملازمةُ المسجدِ للطاعاتِ مكفرةً للذنوبِ؛ لأنَّ فيها مجاهدةَ النفسِ وكفًّا لها عن أهوائِها؛ فإنها لا تميلُ إلا إلى الانتشار في الأرضِ لابتغاء الكسب؛ أو لمجالسةِ الناس، أو لمحادثتهم، أو للتنزه في الدور الأنيقةِ والمساكنِ الحسنةِ ومواطنِ النزهِ، ونحو ذلكَ.

فمن حبسَ نفسَهُ في المساجدِ على الطاعةِ فهوَ مرابطٌ لها في سبيلِ اللَّه مخالِفٌ لهواهَا، وذلكَ من أفضلِ أنواع الصبرِ والجهادِ» [٩].

• السَّلف وشأنهم مع الصلاة:

لقد كان السّلفُ الصالح رحمهم الله تعالى لهم شأن عظيم مع تكبيرة الإحرام:

قال وكيع رحمه الله: «كان الأعمشُ قريباً من سبعين سنة؛ لم تفُتْه التكبيرة الأولى، واختلفتُ إليه قريباً من سنتين؛ فما رأيته يقضي ركعةً» [١٠].

وقال سعيد بن المسيِّب: «ما فاتتني التكبيرة الأولى منذُ خمسين سنة، وما نظرتُ إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسينَ سنة» [١١] وثبت عن جمع من السلف نحواً من ذلك رضي الله عنهم وأرضاهم.

بل كانوا رحمهم الله تعالى يجعلون إدراك هذه التكبيرة مقياساً لصلاح الرجل، ولهذا قال إبراهيم التيمي: «إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسل يدك منه» [١٢].

وقد حذّر النبي ﷺ مِن التهاون في الصلاة، وبَيّن عاقِبة مَن يتعمد التأخر عن الصَّف الأول فضلًا عن تكبيرة الإحرام فقال: «لا يزالُ قومٌ يتأخرون عن الصَّفّ الأول حتى

---

(٩) روائع التفسير (الجامع لتفسير ابن رجب) (٢/ ١٧١).
(١٠) مسند ابن الجعد (٧٥٥).
(١١) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٦٣).
(١٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٤/ ٢١٥).

يُؤخرَهم اللهُ في النار» [١٣].

أيها الإخوة: ينبغي على المسلم أن يتحلى بالخشوع والسكينة حال ذهابه إلى المسجد، لاسيما إذا سمعَ إقامة الصلاة، فعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» [١٤].

والحديث فيه النهي عن المشي بسرعة والاشتداد فيه إذا أقيمت الصلاة، لأنه منافٍ للخشوع في الصلاة والوقار فيها.

لكن أهل العلماء ذكروا أنه من طمع في إدراك تكبيرة الإحرام وخشي من فواتها؛ جاز له أن يُسرع ما لم يكُن ذلك منافياً للوقار والسكينة.

قال أبو الوليد الباجي رحمه الله: «وَأَمَّا الْإِسْرَاعُ الَّذِي لَا يُنَافِي الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ لِمَنْ سَمِعَ الْإِقَامَةَ وَخَافَ أَنْ يَفُوتَهُ بَعْضُ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكَ جَائِزٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَمِعَ الْإِقَامَةَ وَهُوَ بِالْبَقِيعِ فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ إِلَى الْمَسْجِدِ» [١٥].

قال رجل من طيئ: كان عبد الله ابن مسعود ينهانا عن السعي إلى الصلاة، فخرجتُ ليلة، فرأيته يشتد إلى الصلاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، كنت تنهانا عن السعي إلى الصلاة، فرأيتك الليلة اشتددت إليها؟ قال: إني بادرت حدّ الصلاة. يعني التكبيرة الأولى [١٦].

وقال إسحاق: يسعى إذا خاف فوات التكبيرة الأولى [١٧].

إذن من خشي أن لا يُدرِك التكبيرة الأولى؛ جاز له أن يسعى

---

(١٣) رواه مسلم (٤٣٨)، وأبو داود (٦٧٩) واللفظ له.
(١٤) رواه البخاري (٨٦٦)، ومسلم (٦٠٢).
(١٥) المنتقى شرح الموطإ (١/١٣٢).
(١٦) الأوسط لابن المنذر (١٩٢٩).
(١٧) الأوسط لابن المنذر (١٩٢٩).

سعياً لا يتنافى مع الوقار والسكينة.

أيها الأكارم: احرصوا على أداء الصلاة في المساجد، وجاهدوا أنفسكم على المداومة عليها، فإن المساجد بيوت الله، أمر ببنائها لأداء الصلاة فيها جماعة، ووعد من قصدها بالفضل والخير العظيم، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَن غدا إلى المسجد وراح أعدّ الله له نزله من الجنة كلّما غدا أو راح» [١٨]، والنُّزل: ما يُهَيّأ للضيفِ عند قدومه.

فيا لها من بشرى عظيمة لعُمّار المساجد، فأنتم في ضيافة الله تعالى كلّما غدوتم أو رجعتم، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: «المساجد بيوت الله في الأرض، وحقٌّ على المزور أنْ يكرم الزائر» [١٩].

ومَن كان يَعمُر مساجد الله بالصلاة فيها، فقد استحق أنْ يكون مِن جيران الله تعالى الذين يسأل عنهم يوم القيامة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله لَيُنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ جِيرَانِي؟ أَيْنَ جِيرَانِي؟ قَالَ: فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: رَبَّنَا وَمَنْ يَنْبَغِي أَنْ يُجَاوِرَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْنَ عُمَّارُ الْمَسَاجِدِ؟» [٢٠].

اللهم اجعلنا ممن يعمر مساجدك آمنين مؤمنين مطمئنين، واعمر قلوبنا بطاعتك، وامنن علينا بهدايتك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١٨) رواه البخاري (٦٣١).
(١٩) المصنف لابن أبي شيبة (٣٤٦١٥).
(٢٠) مسند الحارث بن أبي أسامة رقم: (١٢٦).